ج ـ المفاوضات، وتسليم القدس إلى صلاح الدين
(يوم الجمعة في 27 رجب 583هـ ـ 2 ت 1/ اكتوبر 1187م):

شكّل الصليبيون المحاصَرون في القدس، إذن، وفداً من «كبرائهم وأعيانهم» وقصدوا صلاح الدين لمفاوضته بشأن طلب الأمان وتسليم المدينة، ولكن صلاح الدين، وقد استذكر ما فعله الصليبيون بالمسلمين، مقاتلين وشيوخاً ونساء وأطفالاً، إذ أبادوهم عن بكرة أبيهم، يوم احتلوا القدس، منذ ثمانية وثمانين عاماً (1099م)، رفض إجابتهم إلى طلبهم، وقال: «لا أفعل بكم إلا ما فعلتم بأهله (أي القدس) حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعماية (هجرية) من القتل والسبي، وجزاء السيّئة بمثلها»[67]، فعاد الرسل إلى المدينة خائبين، وعندها قرر قائدهم باليان التوجه بنفسه للتفاوض مع صلاح الدين.

والتقى باليان بصلاح الدين في خيمته، وعرض باليان على القائد المسلم تسليم المدينة شرط «خروج حر للمدافعين عنها»[68]، فأجابه صلاح الدين أنه أقسم ليفتحن المدينة عنوة وبالسيف، ولن يحلّه من قسمه سوى استسلامها له بلا قيد أو شرط، ورفض أن يعطي باليان ما طلبه، لأهله وللمدافعين عن المدينة، من أمان[69]، مذكراً القائد الصليبي «بما ارتكبه الصليبيون، سنة 1099م من المذابح»[70]. وحدث أنه، في أثناء التفاوض بين القائدين، اندلع قتال شديد على السور بين المهاجمين والمدافعين، استطاع خلاله، المهاجمون أن يرفعوا راياتهم فوق السور ولكنهم ارتدوا عنه لشراسة المقاومة، وكان خبر القتال قد وصل إلى صلاح الدين وهو مجتمع بباليان، فأخبر صلاح الدين باليان «أن لواءه قد ارتفع على سور المدينة»[71]، مما حدا بباليان إلى أن يطرح آخر ما لديه من حلول يائسة في مفاوضات صعبة مع قائد شديد المراس ومنتصر لا محالة، فقال لصلاح الدين: «أيها السلطان، اعلم أننا، في هذه المدينة، في خلق كبير لا يعلمهم إلا الله

---

(67) ابن الأثير، م. ن. ص 548، وأبو شامة، م. ن. ج 2: 94 ـ 95، والصحيح، 492هـ.

(68) Grousset, Op. Cit., V. 2, p. 812.

(69) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11: 548.

(70) رنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 751.

(71) م. ن. ص. ن.